اعلام النقد الادبي

الدكتور جميل سعيد
الاستاذ في قسم اللغة العربية

- ١ -

ارسطوفانيس
Aristophones

النقد الادبي قبله :

ارسطوفانيس علم من اعلام النقد الادبي القديم ، بل هو اول ناقد ادبي هام عرفه التاريخ ، ولعله البداية الجادة التي فتحت باب النقد الادبي لافلاطون ، ولارسطو من بعد .

ان ما بلغنا عن النقد الادبي قبله ، لا يعدو اللمحات ، وما ان نبلغ ارسطوفانيس هذا حتى نرى الطريق ينفتح لاحبا واضحا امامنا .

صحيح ان النقد الادبي عند اليونان بدأ بحثه الجاد عند ارسطو ، اذ لا يعرف ان كاتبا كتب كتابا خاصا به قبله . على ان النقد الادبي ، على ما نفهمه اليوم ، لا نستطيع ان نقول عنه : انه بدأ ، بأرسطو ، الا كما نقول : ان شعر الملاحم Epic poetry عند اليونان بدأ بملاحم هوميروس ، او ان الشعر عند الانكليز بدأ بشعر جوسر Chaucer او ان الشعر عند العرب بدأ بشعر امرىء القيس مثلا .

ان البذور الاولية للنقد الادبي نلمحها عند هوميروس Homer وعند هزيود Hesiod ، اذ رأى كل منهما ان الشعر هبة الهية ، او وحي يوحى به الى الشعراء . وان هوميروس يفتتح ملحمتيه

الكبيرتين ، الالياذة Iliad والاوديسة Odyssey بدعاء لربة الشعر ان تلهمه وتعينه في شعره[1] . وكذلك يفعل هزيرد في مقدمة قصيدته « انساب الالهة » theogony فيبين أن الهة الشعر نفحت في شعره أنفاس الموسيقى الالهية .

وهذا الوحي ، او هذا الالهام ، هو عند هوميروس وسيلة متعة يبعثها ضرب من السحر وعند هزيود هو وسيلة تعليم تنفحها الالهة[2] Muse بأنفاس الشاعر في شعره .

واننا لنجد بعض الاحكام النقدية منثورة في قصائد الشاعر بندار[3] Pnidar ونجد الفيلسوفين : اكزينوفينس Xenophanes وهراقليطس Heraclitus قد انتقدا هوميروس وخطآه في أماكن من اشعاره[4] . وعلى اية حال لم يصلنا من هذه العصور القديمة الا لمحات من التعليق على الشعر والشعراء . وما نزال كذلك حتى ندخل عالما آخر فسيحا من النقد الادبي نجده عند ارسطوفانيس .

وارسطوفانيس هذا ، هو اعظم كتاب اليونان خلقا وابتداعا[5] ، واسيرهم ذكرا في كتابة المسرحية الهزليه ، واحسنهم دعابة وسخرية وهزلا . ونحن حين نقرر هذا ، انما نقرره بذوق معاصريه ، ذلك لان المسرحية الهزلية عند اليونان ، كانت قد بلغت قمتها ، وكانت على وشك الهبوط والانحدار ، حين بدأ ارسطوفانيس يكتب مسرحياته الهزلية . وليس لنا من سبيل الى مقارنته بغيره ، لان المسرحيات اليونانية التي سبقته ضاعت كلها . وليس لدينا الان الا ما يشير الى اسمائها او اسماء مؤلفيها ، وفي مسرحيات ارسطوفانيس نفسه كثير من هذه الاشارات .

حياته ومسرحياته :

عاش ارسطوفانيس ، حوالي ٤٤٥ ــ ٣٨٠ قبل الميلاد[6] ، وحياته لا يعرف عنها الا القليل . واكثر هذا القليل مستقى من مسرحياته التي وصلتنا . وظل يكتب المسرحيات الهزلية اربعين سنة او اكثر ، فكتب

بين الاربعين والستين مسرحية ، وصلتنا منها احدى عشرة مسرحيـــة فقط • اما الباقي فضاع ، ولم تصلنا منه الاتتف حفظتـــه لنا اوراق البردي في نحو ٩٦٩ قطعة ، وهي قطع صغيرة ليس بينها الا اربع قطع تزيد سطورها على العشرة ، والكثير منها لا يتجاوز بضع جمـــل او بضـــع عبارات[٧] •

ومسرحياته التي وصلتنا مترجمة الان ، الى كل اللغات الحية في العالم ، وقد تتعدد ترجماتها في اللغة الواحدة ، ذلك لانها مكتوبـــة شعرا ، ويحاول مترجموها ان يتفننوا في ترجماتها شـــعرا[٨] ايضا • ونأسف ان نقول ان العربية لم يترجم اليها الى الان ، الا القليل مـــن هذه المسرحيات • وهذا القليل ايضا قد ترجم اليها عبر لغة ثانية ، غير لغة ارسطوفانيس • ولا شك ان العربية تفقد جانبا هاما من الاطـــلاع على المسرحية ، حين يفقد قراؤها الاطلاع على هذه المسرحيـــات التي كان لها الاثر الكبير في المسرحيات الهزلية في لغات الدنيا[٩] الحية •

وارسطوفانيس كاتب متعدد الجوانب فيما تناول من موضوعات، اذ كتب في شتى نواحي الحياة الاثينية في عصره • ومسرحياته متنوعة المواضيع ، متنوعة الاراء ، حتى لقد اصبح من غير السهل تصنيف حتى هذه التي وصلتنا كاملة منها ، بله التي لم يصلنا منها الا قطع او تتف لا تزيد على العناوين او الجمل •

شهرت مسرحياته في عصره ، وما زالت كذلك في شهرتها الـــى ايامنا هذه • ونال بها جوائز المسرح مرارا[١٠] • وكان قاسيا عنيفا في نقده ، نقد اثينا في شتى نواحي حياتها[١١] ، نقـــى مسرحيتـــه نســـاء لمينـــوس The women of Lemnos نقد الناحية الاخلاقية فيها[١٢] • والمسرحية من عنوانها تشير الى هذا ، فنساء جزيرة لمينوس Lemnos هن النسوة اللواتي استقبلن ابطال السفينة ارجو Argo وخالطنهم لمدة عام ، وهم في طريقهـــم الى كولخيس Colchis في البحث عـــن الجزيرة الذهبيـــة • فموضوع المسرحية ،

يشير الى تفشي الانحلال الخلقي بين نساء اثينا • وفي مسرحيته الاكارنيين[١٣] the Acharnians حمل على الحروب ومثيريها ، وتحدث عن اثينا وسبارطة في حروبهما التي سميت بحروب البيلوبونيز بين سنة ٤٣١ ــ ٤٠٤ ق • م • وفي مسرحيته السلم The Peace حمل على الحروب ومساوئها ، واشاد بفوائد السلم • وكانت هذه بمناسبة معاهدة السلام في حروب البيلوبونيز ، في السنة نفسها • وفي مسرحيته النساء في البرلمان Ladies in Parliament صوّر مجلس الامة يتكون من النساء الاثينيات ، وصور الحكم بأيديهن بدلا منه بيد الرجال ، ونقد رجال البرلمان بانهم كثيرا ما سنوا القوانين ، وهم سكارى ، وانهم كثيرا ما ابرموا المعاهدات ، ثم عادوا الى نقضها دونما مبرر •

والمسرحية تدار على شيوعية الثروة والملكية والنساء • والصلة واضحة بينها وبين ما كتبه افلاطون في الكتاب الخامس من جمهوريته، حتى ليتوهم القارىء ان ارسطوفانيس انما كتب هذا ليهزأ بما جاء به الفيلسوف من اراء فيها[١٤] • وقد ذهب بعض الكتاب الى ان مسرحية ارسطوفانيس هذه ربما بنيت على ما في جمهورية افلاطون من اراء ، وان كان لا يدري ايهما كانت اسبق[١٥] • في الكتابة من صاحبتها •

ولا نريد ، ونحن نكتب عن ارسطوفانيس ناقدا ادبيا ، ان نفصل في كل النواحي التي تطرق اليها في نقده ، ولكننا نقول باختصار : انه تناول حياة اليونان بشتى صورها وجعلها كلها مادة لنقده •

لقد اخذت الآلهة حظها من هذا النقد ، واخذ اهل السلطة والحكم والقوة حظهم منه ايضا ، ولم يسلم منه العبيد ولا عامة المواطنين • واننا لنعجب الآن ، ونحن في عصر الحرية لهذه الحرية[١٦] التي يعبر بها عن آرائه في مسرحياته • انك تقرأ مسرحياته هذه وكأنك تقرأ صحيفة اثينية هزلية ، تجد فيها حياة اثينا كلها : تجد فيها سياستها وساستها في تلك الايام ، تجد احاديثهم عن الحرب وعن السلام ، وفيها

اراء الحزب المناصر لهذا واراء الحزب المناصر لذاك • وفيها الحديث عن التجار والتجارة ، واراء القائلين بحريتها ، واراء خصومهم فيها • تجد هذا كما تجد شكوى دافعي الضرائب ، وقد أثقلتهم فطالبوا بتخفيفها • تجد كل هذا كما تجد الحديث عن التيارات الادبية والتيارات الدينية المتصارعة • وباختصار : تجد فيها كل شيء يهم المواطنين على اختلاف طبقاتهم ، واختلاف درجاتهم الاجتماعية • تجد هذا كله وتعجب ان ترى ارسطوفانيس يعالجه ويتخذ منه مادة لنقده وهزله •

خياله

وتراه ، وكأنه لا يكفيه ان يتخذ من هذا كله مسرحا لنقده ، بل يعجبه ان يخرب عالمه الذي يعيش فيه ويمحوه ويعيد بناءه على هواه ••• ان المسرحيات التي وصلتنا عن الاغريق انما بنيت على اساطير ، وكذلك الشأن في الملاحم • وشأن كتّاب هذه وهذه انما هو الايضاح والتعليل والتعمق بما في هذه الاساطير • وكتابهم عامّة لا يغيرون تأريخها القديم ، وقد نقد ارسطوفانيس الشاعر المسرحي يوريبدس في انه عرض فيدرا Phedra التي عشقت ابن زوجها عشقا محرما ، وانتحرت لانه لم يبادلها الحب ، على المسرح • ورد عليه يوريبدس هذا بانه إنما روى بمسرحيته هذه حقيقة ، ولم يبتدعها بخياله ابتداعا[١٧] • اما ارسطوفانيس فانه يمحو التاريخ ويمحو الزمن والمسافة بخياله • تصبح الحرب صعبة عليه فينشيء بخياله محالفة خاصة مع الاعداء ، او يطلع الى السماء ليحضر السلم من الآلهة • وتغدو اثينا غير محتملة العيش عنده فيبني بخياله مدينة اخرى غيرها في السماء • ويرى الشعراء الاحياء غير اكفاء عنده ، فيذهب بخياله الى العالم الاخر ، لاحضار الشعراء الاكفاء • وهكذا تراه يذهب بخياله فيخلق عالما آخر شأن الاله القوى المقتدر ، يخلق عالمه ويسكن

به اشخاصا من ابتداعه ، ويجعلهم يتصرفون في عالمهم • ونحن الى الان نعجب بتصرفهم •

وقد يكون امر الخلق هذا طبيعيا بالنسبة لنا الان ، لأننا نرى الكتّاب ، في المأساة وفي المسرحية الهزلية ، في عصرنا هذا يخلقون اشخاصهم ويصورونهم على النحو الذي تشتهيه انفسهم • ولكن هذا يكون كبيرا اذا ما قورن بما كان عليه كتّاب الملحمة وكتاب المأساة في عصر ارسطوفانيس ، ذلك لانهم كما اشرنا ، كانوا يتقيدون بشخصياتهم في الملاحم ، وفي المسرحيات بماروته لهم الاساطير عن الناس وعن الالهة• بل وحتى افلاطون لم يذكر في محاوراته الا الشخصيات التي كان يظن، من الناحية التاريخية ، انها موجودة حقيقة •

ارسطوفانيس والسوفسطائيين :

وبعد فنقول : ان ارسطوفانيس ، وقد تعرض بالنقد للحياة الاجتماعية لم يسلم منه مفكّرو عصره من الفلاسفة والادباء والشعراء ، وغيرهم من اهل الفن • سخر من السوفسطائيين وسبلهم في التعليم ، واتخذ من سقراط الفيلسوف المشهور ممثلا لطليعة المعرفة الجديدة او التعليم الجديد • ومع ان سقراط ، على ما يبدو من السمبوزيوم ، لافلاطون ، كان صديقا[١٨] له ، مع هذا فقد سخر منه ومن فنه التعليمي السوفسطائي الجديد ، الذي يقوم على قلب الحقائق وإلباس الباطل لباس الحق • وقد عرض لهذا في مسرحيته السحب The Clouds والمسرحية تدور حول ستربسيادس Strepsiades وهو شيخ غني من الريف أغرقه ابنه المتلاف فيديبيدس Pheidippides بالديون لولعه ومراهناته بالخيل • واتعبه الدين وحرمه الراحة • وشاع عن السوفسطائيين انهم جماعة تستطيع بما اوتيت من حجة ، ان تقلب الباطل حقا والحق باطلا ، فرأى ان يلجأ اليهم ليتخلص من دينه الذي لا يرى وسيلة لسداده •

ودخل الرجل « دار الفكر » ورأى شيخها سقراط ، وكان الرجل قد تجاوز السن التي يجدى بها التعليم ، فاقترح عليه سقراط ارسال ابنه الفتى .

وتعلم الابن بدار الفكر هذه ، فاذا به يعود الى بيته ويرى : أن من الاخلاق ان يضرب اباه بل وامه ايضا . وينظر الاب الى حالـه ، ويرى ديونه هي هي ، وان ابنه افسدته « دار الفكر » فيتمنى ان تحرق دار الفكر هذه ومعها سقراط وتلاميذه ايضا . ونرى ان نعرض لبعض ما فيها ملخصا على النحو الذي عرضه ارسطوفانيس ليتبين لنا اسلوبه في حـواره :

الاب وابنه يتحاوران :

الاب هذه « دار الفكر » لذوى النفوس الحكيمة ... وهم يعلمونك ، اذا أجزلت لهم العطاء ، ان تربح قضاياك ، عادلة كانت ام غير عادلـة .

الابن وبم يسمون انفسهم ؟

الاب لا اعرف بم اسميهم ، ولكنهم مفكرون عميقو التفكير . وهم اولى الناس بالاعجـاب .

الابن اولئك السفهاء المخادعون ! انا اعرفهم : ذابلى الوجوه، حفاة الاقدام ، احدهم سقراط ، والاخر خيريفون

الاب اسكت لا تهذى . اذا كنت تحرص على الا يموت ابوك جوعا ، فدع خيلك وكن واحدا منهم .

الابن وما الذي اتعلّمه منهم !؟

الاب لهم منهجان في الجدل ، صحيح وزائف . وبفضل الزائف هذا تكتسب القضايا الباطلة . فاذا تعلمته ، وهذا ما يسرني ، خلصتني من كل ديوني التي اوقعتني فيها انت .

الابن ما انا بفاعل هذا . وكيف تراني أواجه الفرسان ، وقد تغيرت سحنتي !؟

الاب سأضرع الى الالهة ان تعينني في دخول « دار الفكر » هذه • ولكن أنّى لي بتعلم جدلهم هذا ، وقد كبرت وضعفت ذاكرتي ؟

(يأخذ بدق باب الفكر)

تلميذ (يزعجه الدق المتواصل فيخرج اليه) أي جاهل انت !؟ لقد أطرت فكرة من رأسي •

الاب اعذرني ، انا من الريف ، وقد جئت لاكون واحدا منكم •

التلميذ اقولها لك اذاً ، ويجب ان تبقى سرا بيننا نحن التلاميذ: منذ حين برغوث لسع خيريفون بجفنه ، وقفز الى رأس سقراط ، فسأل سقراط : ما المسافة التي يقطعها البرغوث بقفزته ، مقاسة بأرجله ؟

الاب (متعجبا) وكيف استطاع قياس هذا !؟

التلميذ آه ! كان منتهى الذكاء ما فعله : صهر بعض الشمع ، وغمس قدم البرغوث فيه ، وحين برد الشمع تصلبت فكانت كالنعال الفارسية ، ثم خلعها وبها كان قياس المسافة •

الاب زيوس ! تعاليت ايها الاله ! أي عقل هذا !

التلميذ وماذا عساك تقول لونبأتك بنادرة اخرى من نوادر سقراط ؟

الاب قل لي ما هي ، ارجوك ، ارجوك •

التلميذ سأل خيريفون مرة : ما مصدر طنين البعوضة ، فمها أم عجزها ؟

الاب وبم اجاب في هذا ؟ (يبصر رجلا في سلة) زيوس. يا الهي ! من هذا الرجل المعلق في السلة ؟

التلميذ انه هو نفسه

الاب ومن هو نفسه ؟

التلميذ سقراط

الاب سقراط ، يا عزيزي سقراط ، ماذا تفعل معلقا هناك ؟

سقراط انني اجوب في الهواء واتفكّر في الشمس

الاب واذا فأنت تنظر الى الآلهة من عل ، من السلة ، ولاتنظر اليهم من الارض !

سقراط (بعد حوار طويل مع الرجل) تعال • أي من هذه العلوم التي لم تتعلمها ابدا ، ترغب في تعلمه اولا ؟ الاوزان •• القوافي •• الاشعار ؟

الاب الاوزان •• خدعني تاجر الطحين منذ ايام ••

سقراط انا لا أسالك عن هذه •• ولكن اي الاوزان تراه انسب ، الوزن •• ام الوزن •• ام

الاب انا افضل الوزن •••

سقراط انت تهذي يا رجل ، ربما كان تعلمك القوافي اسهل •

الاب اتراها تعين في معيشتي ؟ كنت استعمل هذه الاصبع يوم كنت صغيرا •• هذه كلها لا اريد ان اتعلمها ••

سقراط ما الذي تريد ان تتعلمه اذا ؟

الاب لا اريد هذه ولا اريد هذه ــ اريد ان اتعلم فن الخداع •

وبعد حوار طويل

يتبين لسقراط ان الاب لا فائدة من تعليمه ، لانه شيخ غبي بطيء الفهم ، ضعيف الذاكرة كثير النسيان ، فيسأله ان يأتيه بابنه الفتى ، لانه ربما كان اكثر قابلية في التعلم منه • ويقيم ارسطوفانيس حوارا بين منهجين ، المنهج الحق والمنهج الزائف •

المنهج الزائف سأقضي عليك

المنهج الحق وبأية خديعة تقضي عليّ ؟

المنهج الزائف بالقواعد الحديثة التي اكتشفتها

المنهج الحق تلك القواعد التي أزدهرت بفضل السفهاء ••• تقول : ان العدل لا وجود له ؟

المنهج الزائف اذا كان موجودا لمَ لمْ يعدم زيوس ، وقد قيد اباه في الاغلال ؟

ويطول الحوار بينهما عن التربية القديمة التي تأخذ بتأديب الطفل وتربيته .. كأنْ تعلمه المشي بنظام في شوارع المدينة وتعلمه الموسيقى ، والاناشيد الحماسية ، مثل نشيد اثينا المخيفة التي دمرت المدن .. وتدربه في حلبات المصارعة ، وترشده الى احترام من هم اكبر منه سنا ، وتعلمه الا يتقدم الكبار بتناول الطعام ، والا يأكل الفجل .. وان .. يبتعد عن كل ما هو خسيس يلوث الصفات الفاضلة .. ويرى المنهج الزائف ان هذا كله لا فائدة فيه ، ثم يتوجه بالسؤال الى الاب .

المنهج الزائف (للاب) هل ترغب في ان تأخذ ابنك او تتركه لي ، لا علمه فن الكلام ؟

الاب علّمه ، ولا تنس ان تجعل لسانه لاذعا ، مستعدا لكل محاكمة .

المنهج الزائف لا عليك ، سأعيده اليك سفسطائيا ما هرا .

ويختصم الاب مع ابنه ، ويجعل ارسطوفانيس الخصومة بسبب ادبي ، يرويها الاب : .. سأحدثكم كيف بدأت الخصومة : كنا في وليمة فطلبت اليه ان يأخذ قيثارة وينشدنا اشعار سميونيدس فرد عليّ : بأن من السخف ، ونحن نشرب ان نعزف على القيثار ونغني شأن جداتنا العجائز يطحنّ الشعير .. وزاد على هذا بأن قال : بان سيمونيدس شاعر ثقيل مكروه .. وضاق صدري لهذا واحتملته له .. ورجوته ان يأخذ بيده غصن زيتون ويغني مقطوعة من شعر اسخيلوس فرد عليّ ايضا بأن اشعاره مفككة غير مترابطة ، ثم هي مملوءة بالالفاظ الضخمة الفارغة الصخابة . وملكت جماح نفسي وتماسكت .. وقلت له : إذا انشدنا مقطوعة لبعض الشعراء المحدثين ، فراح ينشد مقطوعة من شعر يوريبدس ـ ويالهول ما سمعناه !. اخ يغتصب اخته .. ولم اتمالك ان اكبح جماح نفسي ، فصببت عليه الشتائم والاهانات ، ورد عليّ

بمثلها • وتبودلت الشتائم بيننا •• فقام وطرحني أرضا ، فكسر عظامي، وكـاد يقتلني •

الابن الم اكن مصيبا في الا تمدح يوربيدس ، اعظم شعرائنا ؟

الاب أهو !؟ اهو اعظم شعرائنا ؟ آه لو كانت لي الجسارة على الكلام الان ، ولو لا خوفي ان تنهال عليّ الضربات باشـد مـن سابقاتها •

الابن وهذا ما لا شك فيه ، وهو الحق ايضا •

الاب ايها الشقي ، علمك أن تدحض كل ما هو حق ، وها انت الان تحاول اقناعي أن من الصواب ان يضرب الابناء الاباء •

الابن واذا اقنعتك (بالمنهج الزائف) أن علـى الانسان ان يضرب أمه ايضا ؟

الاب وماذا بقى اذا • انت وسقراط والمنهج الزائف فـي الجحيـم •

يا لشقوتي ليس من العدل الا اعيد ما اقترضته من الاموال •

والان ، يا بني تعال •• لنحطم سقراط وخيريفـون الفاسقين ، لانهما خدعا أباك وخدعاك[١٩] •

ارسطوفانيس الناقد :

وتناول فيما تناول ، وهو ما يعنينا في هذا الحديث ، الحيـاة الفنية فكتب مسرحيـة the Sweet singer وادارها عـلى نقد الشعر المعاصر له ، وهي تتضمن اعادة بعض الشعراء المجيديـن من عالم الموتى الى عالم الحياة ، والموازنة بينهم فيما كتبوا • ولعلها تشبه مسرحية الضفادع في منحاها[٢٠] • وكتب مسرحية الطيـور the Birds وفيها الكثير عن الشعر الغنائي المعاصر ايضا[٢١] • وكتب مسرحية النساء في اعياد ديميتر

women celebrating the Feast of Demeter

، وقد ذهب النقاد الى انها احسن ما كتبه دعابـة

وهزلا[٢٢] • وهم حين يذهبون الى هذا انما يعبرون به عن اعجابهم الشديد بها ، ذلك لان اكثر مسرحيات ارسطوفانيس ضاعت ولم تصلنا ولعل فيها ما يماثل هذه ، او يفوقها • وعقدة المسرحية تدور على أن الشاعر يوريبيدس بلغه ان الاثينيات غاضبات عليه لتعريضه المتواصل بهن في مسرحياته ، وقد قررن محاكمته واعدامه في اجتماعهن في عيد ديميتر • ورأى يوريبيدس ان يلجأ الى الشاعر اكاثون Agathon ليحضر احتفالهن ويكون المدافع عنه في هذا الاحتفال • وقرر هذا لان الشاعر اكاثون يشبه النساء في هيأته ولباسه، وقد يكون بينهن ويتوهمنه واحدة منهن • وقصد الشاعر اكاثون فرفض طلبه في هذا ، فتوجه يوريبيدس الى صهره منسيلوخس Mnensilochus ليتولى الدفاع عنه في قضيته هذه • وتطوع صهره • فأسرع يوريبيدس ، وراح يزيل كل علامة للرجولة فيه ، فحلق شعر وجهه وزينه •• واعاره اكاثون حلة كاملة من حلل النساء • وذهب وقد اعد نفسه ليحضر الاحتفال ، ويتحدث كما تتحدث النساء • وكان هذا • على انه ما لبث ان اكتشف امره بينهن ، فأمسكن به ، وحاول ان يفلت فلم يستطع ، وتلى عليهن مشاهد من مسرحيات يوريبيدس : تيلفوس Telephus وبلاميديس Palamedes وهيلين Helen واخفق في المشاهد التي تلاها • واخيرا حضر يوريبيدس نفسه ونجح بأن خلص صهره المدافع عنه ، ووعد بالا يعود ابدا الى التعريض بهن •

وفي المسرحية هذه يعرض ارسطوفانيس لفكرة هامة في النقد الادبي ، هي ملاءمة الكاتب لما يكتبه • وهي فكرة تعلق بها ورددها مناقشة في مسرحيته الضفادع ، في المحاورة بين يوريبيدس واسخيلوس • ونرى ان نوردها ملخصة عن مسرحيته هذه[٢٣] • وقد عرضها ، وكأنه يعرّض بالشاعر اكاثون الذي اتخذ زي النساء في لباسه وشكله • وعرضها على لسانه وبين انه يؤمن بها ، وهو يورد من الامثلة من نفسه

ومن غيره من الشعراء ما يجعلها بديهية لا تقبل الجدل في رأيه .

وفي المسرحية : يقدم يوريبيدس ومنسيلوخس ، صهره ، ليريا اكاثون فيحدثه بأن يتطوع في الدفاع عن يوريبيدس ، في مؤتمر النســـاء . ويريان خادم اكاثون ، وبيده غصن زيتون .

الخادم (وقد رآهما) صمتا ايها الناس ، واطبقوا افواهكم وحذار أن تنبسوا ببنة شفة ، انها ربات الشعر تذيب الحانها في موقد سيدي . لتهدأ الريح ولتكتم انفاسها في الفضاء . ولتكف امـــواج البحر عن هديرها في الشواطيء

يوريبيدس (لمنسيلوخس) ظل ساكتا ، فاني اريد ان اســمع ما يقول .

الخادم انه اكاثون سيدي ارق الشعراء غناء ، آخذ في انشاء مسرحية ، وهو يدير مقاطع شعرية جديدة يصقلها .

يوريبيدس (وقد رأى اكاثون داخل البيت) ها هو اكاثون نفســـه .

منسيلوخس اين ؟ اين هو ؟

يوريبيدس ها هو الرجل (يبدو اكاثون بملابس مزركشة رقيقة بلون الزعفران ، وقد احيط بأدوات زينة النساء)

منسيلوخس (ينظر اليه) اتراني اعمى اذا ؟ انا لا ارى رجلا هناك . انا لا ارى الا كيرينا

يوريبيدس ارجوك ان تسكت . انه آخذ في الانشاد .

منسيلوخس أي لحن خفي متموج هذا ؟

اكاثون (ينشد منتخبات من احدى مسرحياته ، فيأخذ دور رئيس الجوقة ، ثم يعقبه بما ترده الجوقة كلها .. وهكذا ينشد مرة بعـد مـرة) .

منسيلوخس ما اعجب هذا اللحن ، وما احلاه وما ارقه ، انه لحن اخاذ مذهل . لقد تجاوز صوت قبل المحبين في حلاوته . أي نعم

وسحر في تركيب هذه الالفاظ ومزجها ! انني احسه يأخذ نفسي من اقطارها . (موجها الحديث الى يوريبدس) والان يا عزيزي الفتى يوريبدس : اجب سوالي الذي اتنخل له الفاظ اسخيلوس لاعبّر لك بها عنه : من اين جاء هذا الذي تجمّع فيه سحر النساء وسحر الرجال ؟ وما موطنه ؟ وما لباسه ؟ واية صورة من المتناقضات العجيبة نراها فيه ؟ قيثارة واثواب من الحرير ، ووشاح وزنّار ، وشعر كشعر النساء، لطيف مصفف . ومع هذا كله دهان المصارعين من الرجال ؟ واية صلة بين هذه المرآة وهذا السيف اللذين نراهما عنده ؟ (ثم الى اكاثون) وانت نفسك ، من انت ؟ أرجل انت ام امرأة ؟ اتراك تقول : إنك رجل ؟ فأين ملابس الرجال اذا ؟ أين معطفك ، واين الحذاء الذي يلبسه الرجال ؟ اانت امرأة ؟ اين صدرك العالي ونهداك ؟ اجبني .. أتظل ساكتا ولا تجيب ؟ لك ذلك . وعليّ ان اعرف من تكون من اشعارك واغانيك .

اكاثون ايها الشيخ ، ايها الشيخ الهرم ، لقد قرعت سمعي الفاظ الحسد التي نطق بها لسانك . وظلت تدور وترن في اذني ، وسمعتها وكأني لم اسمعها . لقد اخترت لباسي هذا ليكون منسجماً مع افكاري واشعاري . وعلى الشاعر ـ يا سيدي ـ ان يتقمص اوصاف شخوصه في شعره ، فحين يعرض النساء على المسرح عليه ان يتقمص شخوص النساء ، فيبدو بصورهن ، ويلبس ملابسهن ، ويتزيا بزيهن . وعليه ان يظهر هذا كله في شخصه هو .

منسيلوخس (يهمس الى يوريبدس) واذا اتراك ظهرت بمظهر فيدرا ، حين كتبت عنها ؟

اكاثون واذا كانت شخوصه او ابطاله من الرجال ، كان عليه ان يظهر بكل ما فيه بمظهر الرجال . وما لا تعطيه الطبيعة لنا في الحقيقة، علينا ان نحوزه بالتقليد والمحاكاة .

منسيلوخس (متعجبا) بودي لو رأيتك وانت تكتب الـ ..

اكاثون وعلاوة على هذا ، فليس من الذوق الحسن ان يكون الشاعر اشعث الشعر جافيا ، غير مهذب • ومصداق كلامي هذا تجده في اناكريون Anacreon والكيوس Alcaeus وابيكوس Ibycus فانهم يتنخلون اشعارهم ، ويرققونها ، ويتخذون من الايونيين في صفاتهم الرقيقة ولباسهم الناعم الرقيق ، مظهرا لهم • وفرنيكوس Phrynicus ولعلك رأيته ـ ياسيدي ـ وما أجمله ، وما احلى لباسه ! وعلى هذا كانت مسرحياته جميلة مثله ايضا • وعلى غرار ما يكون الصانع يكون ما يصنعه •

منسيلوخس واذا وعلى هذا القياس ، كان فيلوكلس philocles فجا وكان ما يكتبه مثله • وعلى هذا كان ما يكتبه اكزينوكلس Xenocles السيء سيئا مثله • وعلى هذا ايضا كان ثيوجنس theognis البارد يكتب مسرحيات باردة مثله ايضا •

اكاثون نعم ، ولهذا السبب ، تراني على نحو ما رأيتني فيه من زي النساء •

منسيلوخس يا الهي ، يا الهي !

يوريبيدس كفى كفى ، كف عن عوائك المزعج ! انا ايضا ، كنت في ايام شبابي اجعل نفسي على صورة اخرى مثله •

منسيلوخس يا الهي الرحيم ، انا لا احسدكم على هذا •

يوريبيدس (بحدة وزجر) والان ، ارجوك يا سيدي ، دعنا نأتي الى ما جئنا من اجله •

منسيلوخس نعم ـ هيا بنا اليه •••

يوريبيدس انه اكاثون العاقل ـ هو الذي يستطيع ان يعرض المعاني الكثيرة بالفاظ مختصرة قليلة ، ولذا جئته بمسألتي هذه •

اكاثون قل لي ، ما هي ؟

يوريبيدس ان النسوة في يوم عيدهن هذا سيجزينني على ما اسأت اليهن به في مسرحياتي •

اكاثون ما اسوأ هذا ، ولكن كيف اعينك !؟

يوريبيدس نعم ، تستطيع ان تعينني بكل صورة ، فاذا تنكرت وصرت بينهن ، وكأنك واحدة منهن ثم عرضت قضيتي ودافعت عنها ، فانك ، ولا ريب عندي في ذلك ، ستنقذني • انك وحدك الذي اضع ثقتي فيه •

اكاثون ولم لا تذهب بنفسك انت ، وتعرض حجتك ؟

ولج ارسطوفانيس بالشاعر المسرحي يوريبيدس Euripides وجعل منه ومن مسرحياته هدفا لتهكمه ونقده • وقد مربنا الآن حديثه عنه في مسرحيته : « النساء في اعياد ديميتر » وكيف انه اتهمه بأنه يعرض بنساء اثينا وانهن هممن بمحاكمته وموته • ولم ينس ان يعرّض به في حواره مع صهره ، بأن يغمزه بسؤاله : فيما اذا كان قد تقمص شخصية فيدرا Phaedra حين كتب عنها • وفيدرا في اساطير انيونان زوجة الملك ثيسيوس theseus ملك اثينا • عشقت ابن زوجها وفاتحته في غرامها فأعرض عنها • ولج بها الغرام ولج به الصدود فانتحرت بأن شنقت نفسها •

وفي مسرحية الاكارنيين Acharnians ، اولى مسرحيات ارسطوفانيس التي وصلتنا كاملة ، رآه قد هبط بالمسرحية التراجيدية من عليائها ووقارها ، واولع بالشخصيات المهملة من المجتمع ، شخصيات المتسولين والعرجان والمرضى • ونقده في هذا ، كما نقده في استعماله التعابير المبتذلة • وزاد بأن جعله في مسرحياته مستودعا كبيرا للخرق والخلقان •

وفكرة المسرحية هي الدعوة الى السلام ، والى ايقاف الحرب التي دارت بين اثنا وسبارطة واستمرت ستة اعوام دون ان ينتصر فيها احد الفريقين على الاخر • ويبدو ان ارسطوفانيس عانى من هذه الحرب ،

وتعلق بالدعوة الى السلام • وقاده هذا الى ان يتخيل ان رجلا تعب من الحرب ، وبوسعه ان يعقد وحده معاهدة منفردة مع الاعداء • وهـذا الرجل هو بطل مسرحيته هذه ، ديكايوبوليس Dicaeopolis الذي يعقد معاهدة شخصية مع سبارطة Sparta . •

واذا كنا نعجب الآن من شاعر يستطيع ان يصرح بآرائه هذه في جو الحرب الذي يعيشه بلده فاننا نكون اكثر عجبا من هـذه الديمقراطية التي تجعل الدولة ، وهي في حالة حرب ، تسمح لـه ان يقول ما قالـه ، ونكون اشد عجبا من هذا وهذا ، أن نـرى الدولـة تعجب بهذه المسرحية ، وتنيل صاحبها الجائزة الاولى بها •

نقول : ومع اهتمام ارسطوفانيس بالدعوة الى فكرة السـلام هذه ، والى اهتمامه بها كل هذا الاهتمـام الذي جعله يكتب فيهـا ثلاث مسرحيات ، لا نراه ينسى التعريج على الناحية الادبية ونقدها ، ولا ينسى ان يتخذ من يوريبيدس وسيلة لنقده •

ويأخذ بنقد يوريبيدس بأن ينقل عبارات من احدى مسرحياتـه ، التي ضاعت ولم تصلنا ، يضعها على لسان بعض شخصياته الهزلية ، وكأنه يريد ان يسخر من فنه في لغة المسرحية •

ويزيد على هذا بأن يحاوره ويلج في حواره حتى يحول وجهـة المسرحية التي هي دعوة الى السلام ، ويجعلها مشتركة بين هذه الفكرة والفكرة الادبية ـ وهذا مما اضعف المسرحية اذ جعل موضوعهـا تتنازعه فكرتان •

ونرى أن نعرض الناحية الادبية فيها ملخصة ، على لسـان بطل مسرحيته ديكايوبولس Dicaeopolis • وهو اثيني شجاع يعقد السلام مع الاعداء ، ويجعل الشعب يناقش فكرة السلام هـذه ، بعد ان يبين لهم ان الحرب من عمل محترفي السياسة ، التي يرون فـي اثارتها ربحا ولذة لهم •

ديكايوبولس آن لي ان اظهر ما عندي من شـجاعة ، ولذا

سأذهب باحثا عن يوريبدس (يطرق باب يوريبدس صائحا :) ايها العبد ، انت ايها العبد !

العبد من هذا الذي يناديني !؟

ديكايوبولس يوريبدس في البيت ؟

العبد هو في البيت ، وهو ليس في البيت • افهم هذا اذا استطعت •

ديكايوبولس كيف يكون هذا ، يكون في البيت ولا يكون في البيت ايضا !

العبد نعم ايها الشيخ ، هو في البيت ، ولكن عقله ليس معه ، عقله خارج البيت مشغول بجمع ازهار الشعر من هنا وهناك • اما هو ففي البيت ، وقد حلق في الهواء يكتب مسرحية •

ديكايوبولس ما اسعدك يا يوريبدس ! ما اسعدك شاعرا له مثل هذا الغلام الذي يجيب بما يحير • والان ايها الغلام ، ادع لي سيدك •

العبد هذا لا يكون •

ديكايوبولس ولكن •• انا لا انصرف ، وها انا ذا اطرق الباب مرة اخرى (يطرق الباب) يوريبدس ، يا عزيزي يوريبدس ، يا حبيبي يوريبدس ، استمع اليّ ، فليس هناك احق بمن ينال عطفك بالاستماع اليه مني • انا ديكايوبولس الذي يناديك • اتسمعني ؟

يوريبدس (من داخل البيت) لا يتسع وقتي لحديثك •

ديكايوبولس لا عليك ، دحرج نفسك اليّ •

يوريبدس هذا مستحيل !

ديكايوبولس ارجوك

يوريبدس لا بأس • دعهم يدحرجوني ، ولكن لا الى النزول ، لاني لا اجد الوقت لهذا • (يرى داخل البيت ، وبه يوريبدس مضطجع على فراشه ، والى جنبه خادمه • وعلى الجدار الخلفي ثياب مسرحياته

من كل شكل ، وعلى الارض كومة كبيرة من هذه الثياب)

ديكايوبولس يوريبيدس .. يوريبيدس .

يوريبيدس أي صوت هذا الذي يقرع سمعي !

ديكايوبولس أعلوت هكذا لتكتب المسرحيات ؟ ولم لا تهبط وتكتبها على الارض ؟ لا عجب أن يكون العرجان اشخاصك على المسرح ، وان تظهرهم بهذه الخلقان من ملابس المآسي . ولا عجب ان يكون ابطالك الشحاذين . ولكن يا يوريبيدس ، وها أنا ذا اجثو على ركبتي متوسلا اليك ، ان تعطيني خرقا من بعض خلقان مسرحياتك هذه ، لان علي ان اتحدث اليوم الى الجوقة حديثا طويلا . وستكون نهايتي وموتي اذا انا اخفقت فيه .

يوريبيدس وأي خرق تفضل ؟ أتلك التي البستها اوينوس OEnus على المسرح ؟ ذلك الشيخ الهرم الشقي التعس ؟

ديكايوبولس اوينوس !؟ لا . اريد لباس واحد اكثر تعاسة منه .

يوريبيدس تريد تلك التي لبسها فوينكس Phoenix ذلك الشيخ الاعمى الهرم ؟

ديكايوبولس فوينكس ؟ لا . عندك واحد اكثر تعاسة منه

يوريبيدس (يخاطب نفسه كالمتحير) ترى أي خرق هذه التي يريدها ؟ (ثم الى ديكايوبولس) أتراك عنيت خرق ذلك الشحاذ المتسول فيلوكتيتس Philoctetes ؟

ديكايوبولس لا ــ اردت واحدا ابعد كثيرا في مظهر التسول منه .

يوريبيدس تلك القذرة التي تشمئز منها النفس ، خلقان الاعرج بيلّيروفون Bellerophon ؟

ديكايوبولس ذلك الشحاذ الاعرج ؟ لا . هو شحاذ اعرج مثله ، ثم هو ثرثار متشادق

يوريبيدس ها ... انا اعرفه ، انه تيلفوس Telephus

الميسيّ the Mysian

ديكايوبولس نعم ، هو تيلفوس ، اعطني خلقانه . ارجوك ، ارجوك .

يوريبيدس يا غلام ، اعطه خلقان تيلفوس ، هي فوق خرق ثستس tnyestes مخلوطة بخلقان اينو Ino

الغلام ها هي ، خذها .

ديكايوبولس (يمسك بالخلقان يعرضها على النظارة ليروها) زيوس Zeus يا الهي الذي لا يفوت عينه شيء ولا تخفى عليه خافية ، هب لي الظهور في أتعس حلة في الارض . يوريبيدس ! لقد تلطفت فأعطيتني هذه الخرق ، وانا ارجو ان تزيد تلطفا فتعطيني ما يناسبها ، تعطيني قبعة الميسيّ the Mysian لا توج بها رأسي لاني اريد ان امثل دور الشحاذ ... واظل انا انا ، ويحسبني الناس غيري . ويظل النظارة يعرفون من انا ، على حين تتبلّد الجوقة متحيرة في معرفتي ، واظل هكذا اثيرها بعباراتي الأخاذة الخادعة .

يوريبيدس سأعطيك القبعة . واني لاحبّ الحِيل الخفية يزينها عقل خادع مثلك .

ديكايوبولس ارجو لك الحظ السعيد ، وارجو لتيلفوس ما احبه له . وانا ادرى انني لا تعوزني التعابير الأخاذة المؤثرة . والآن .. اراني بحاجة الى عصا الشحاذ .

يوريبيدس (يسلمه العصا) خذ هذه . وابعد عن مدخل بيتي الان .

ديكايوبولس آه ، يا لنفسي ! ارأيت كيف تطردين من هذا البيت ، على حين ما زلت بحاجة الى امور اضافية كثيرة اخرى !؟ ولكن لا بد لي من الاصرار على الالحاف بالسؤال والتوسل ... يوريبيدس ، اعطني سلة بها مصباح يضيء داخلها .

يوريبيدس وفيم ، ايها الشقي ، تريد هذه ؟

ديكايوبولس ربّما لا احتاجها ، ولكن لا بأس بأن آخذها .

يوريبيدس (يسلمه السلة) اتدري أنك مضايق مزعج .. هيا ابعد عني .

ديكايوبولس يالحسرتي ، لتباركك الآلهة ، وتجعل خاتمتك حسنة كخاتمة امك .

يوريبيدس دعني استرح يا هذا .

ديكايوبولس شيء واحد اريده فقط .. قدح صغير مكسور .

يوريبيدس (يسلمه القدح) خذه واغرب عنا (ثم الى نفسه) أي انسان مزعج هو !

ديكايوبولس اتدري ، ايها العزيز ، أي ألم سبّبته لي ؟ والآن يا عزيزي يوريبيدس ـ اناء صغير ومعه اسفنجة لغطائه .

يوريبيدس ايها الشقي لقد استحوذت على مسرحياتي كلها ، هاكه (يسلمه الاناء) واغرب عني .

ديكايوبولس انا ذاهب الان . ولكن ، ايتها الآلهة العظيمة ، انني بحاجة الى شيء واحد فقط ، وسأموت اذا انا لم احصل عليه . اصغ اليّ يا عزيزي يوريبيدس ، واعطنيه وسأذهب ولا اعود ابدا ... بعض الحشائش الذابلة أملأ بها سلّتي هذه .

يوريبيدس أتريد ان تقتلني باهذا؟ هاك (يسلمه بعض الحشائش) خذ ما تشاء ، ولكن ... في هذا يكون القضاء على مسرحياتي كلها .

ديكايوبولس في هذا كفاية ، سأذهب . اني ملحاح وارجو ان تنس أني اثرت سخط الرؤساء عليّ (يهم بالانصراف ، ثم يعود مسرعا) ها .. أي تعس أنا ! يا للسماء ، لقد قضيَ عليّ ، انني نسيت ذلك الشيء الذي يتوقف عليه نجاحي كله . عزيزي يوريبيدس ، يا حبيبي الاعز ، متُّ ان انا سألتك شيئا أخر ، مهما قلّ ، غيره . شيء

واحد ، وهو الاخير الاخير • اعطني بعض الخضر التي تركتها امك في وصيتها •

يوربيدس ايها الكلب الوقح • يا غلام ، اغلق الباب (يغلق الباب)

ديكايوبولس يا لنفسي ! اترانا ننصرف ولا شيء من الخضر معنا ؟

ثم يأخذ بحديثه عن الحرب ، وعن الشجاعة والاقدام ، وتنشد الجوقة اطراء لحديثه وشجاعته • ويعود فيقول :

ايها المشاهدون ، لا يغضبكم ، وان كنت شحاذا ان اتجاسر فأتحدث امام جمع من الاثنيين عن المدينة بمسرحية هزلية ، لان ما هو الحق لا يعجز المسرحية ان تقوله • وقد لا اسركم ، ولكنني سأقول ما اراه حقا او صوابا •• وفوق هذا ليس لكليون[٢٤] Cleon ان يتهمني بأنني اهاجم اثنا امام الغرباء فنحن هنا وحدنا في اعياد[٢٥] لينينا Lenaena

مسرحية الضفادع :

واظهره في النصف الثاني من مسرحية الضفادع ، يحاول ان يطرد اسخيلوس Aeschylus الشاعر الشهير من عرش التراجيديا في عالم الموتى Hades وعقد مباراة كلامية ، او حوارا بين الشاعرين جعل فيه من الاله ديونيزوس Dionysus الى التراجيديا ، حكما بينهما • وجعلهما يتناوبان في هذه المباراة بذكر ما لهما من محاسن وما لهما من مساوىء في مسرحياتهما وجعل اسخيلوس يتفوق عليه ، ولكن بعد جهد جهيد ايضا •

ولاهمية هذه المسرحية ، وشهرتها الواسعة في النقد الادبي ، نرى ان نخصها ببعض الحديث •

فازت مسرحيته الضفادع هذه بجائزة المسرح الاولى وهي اشهر

مسرحيات ارسطوفانيس ، بل اشهر المسرحيات اليونانية الهزليـــة . والقسم الادبي منها ، وهو الذي تحتويه نهايتها ، ربما كان السـبب الاول في شهرتها الواسعة هذه .

على انها ـ مع شهرتها ـ يراها كثير من النقاد الان رديئـــة التركيب ، باهتة الفكاهة . فيها سلسلة من الاحداث ، لا تكاد تلمـح الصلة بينها وبين القسم الادبي الذي في نصفها الثاني او في نهايتها . وفي هذه الاحداث يمتدح ارسطوفانيس اهل اثينا ، ويعرض بزعيـم الرعاع كليوفون Cleophon ويهاجم آخرين غيره ، ثم ينتقل الى القسم الادبي فيها ، فيقيم مباراة او حوارا بين الشاعرين يذكـر فيه كل منهما ما له من محاسن وما لخصمه من مساوىء .

وللصلة الواهية بين قسمي المسرحية ، القسم الاول الذي لا مساس له بالادب ، والقسم الثاني : وهو ادبي محض ، ذهب بعض النقاد الى أن القسم الادبي ربما كان مؤلفا باعتباره جزء من مسرحية ادبية ، ثم الحق بهذه المسرحية عندما جاء نبأ موت يوريبدس .

والموازنة بين الشاعرين طويلة ، ذهب طولها بالكثير من فكاهتها . ومع انه بين في اول المسرحية ان ديونيزوس انما جاء الى عالم الموتـى ليعيد يوريبدس الى الحياة ، لأن المسرحية في اليونان قد هبط مستواها بعد موته . مع هذا نراه ، في آخرها ، يعود بأسخيلوس بدلا عنه .

وقد افاض ارسطوفانيس بالحديث عن الشاعرين بهذه المحاورة ، وامتدحهما في اماكن كثيرة ، وجرحهما في اماكن كثيرة ايضا .

ونحن نقرأ المسرحية الآن فلا نراها ، من حيث ما وسمت به مـن الفكاهة ، تستحق الشهرة التي وصفت بها . ولعل مرد هذا الى اننـا نقرؤها مترجمة ، والترجمة كثيرا ما تذهب بجمال النص الادبي ، ولا تجعله يثير ما يثيره حين يقرأ باللغة التي كتب فيها . وربما مر ببعضنـا رأي بعض النقاد غير العرب ، الذين يقرأون القرآن الكريم فلا يرون فيه ما يراه العرب أهل اللغة التي نزل فيها من الاعجاز البياني .

لقد اشار جلبرت مري[٣٦] Gilbert Murry في مقدمته التي كتبها لترجمة « ارسطو : في فن الشعر » الى صعوبة ترجمة النصوص اليونانية الى الادب الانكليزي ، قال : « قد تستطيع ان تفهم كتابا اجنبيا هاما بالترجمة ، حين تكون اللغتان تدوران في اراء عامة في كلتيهما ، ترجع لفترة حضارية واحدة • ولكن اين يكون هذا بين اليونان القديمة وانكلترا الحديثة ، اللتين يفصلهما برزخ عريض من التاريخ الانساني ؟ » ثم اخذ يعدد هذه الفواصل ، فبين منها : الدين ، وغزو البرابرة والنظام الاقطاعي ، ثم اعادة تكوين اوربا الحديثة دولا مستقلة منفصلة ، ثم عصر اختراع الآلة •• ثم •• ثم ••

ونقول : هذا يكون في الترجمة عامة ، وربما كان هذا اكثر انطباقا على ترجمة النصوص الهزلية منه على ترجمة النصوص الجدية• ان الجاحظ ، وهو من هو في ادبنا العربي ، قد اشار من بعيد الى ان النكتة التي تقال بلهجة العامة ، تستعصي على الترجمة الى اللغة الفصحى ، وان نقلها الى الفصحى يفقدها روحها • هذا في النكتة تترجم وتحول في عصرها ولغتها تقريبا ، ومحيطها • فما بالك بها تترجم الى لغات بعيدة والى محيط بعيد بثقافته وروحه عنها ؟

هذه ناحية ، وناحية اخرى هي وثيقة الاتصال بهذه ايضا ، وهي : ان النكات في كثير من الاحيان تكون مرتبطة ببيئاتها بايحاءات توحيها نصوصها الى امور تثير الضحك • وهي حين تقرأ مترجمة يكون قارؤها بعيدا عن هذه الايحاءات او الايماءات • وربما كانت هذه الناحية الصق بأرسطوفانيس منها بغيره • ذلك لان الكتاب المسرحيين المجيدين يكتبون مسرحياتهم وكأنهم يعالجون امورا خالدة تصلح لان يقرأها الناس في كل العصور وفي كل البيئات ، ولا كذلك ارسطوفانيس • انه يكتب لاهل عصره ، وبمناسبة خاصة ايضا • وعلى هذا فقد يعجب الناس بمسرحياته اذا كانوا قريبين في ثقافتهم وبيئتهم وعقليتهم من اهل عصره • انه يكتب في احداث تتعلق بحياتهم

الخاصة ، كأن يعالج الضرائب ، واجور العمال • او الحياة السياسية ، او تصرف الحكام او ما الى هذا •• وعلى هذا فقد تشير الالفاظ بايحاء الى هذه الاحداث ، واذا ما ترجمت هذه الالفاظ فقدت في ترجمتها هذا الايحاء او الايماء ، وكثيرا ما يكون هو اجمل ما فيها ، وقد يكون وحده مثار السخرية والهزل • وعلى هذا فكثيرا ما يقرأ المترجمون الان الفاظه هذه ويظلون في عمه عما يريده ، مثال هذا : انه في فاتحة مسرحيته الضفادع هذه ، يدخل الاله ديونيزوس ، ومعه اكسانثياس Xanthias عبده

اكسانثياس سيدي ، احكي لك نكتة من النكت التي تضحك الناس دائما على المسرح ؟

ديونيزوس قل ما شئت الا نكته (ظهري انقصم) اياك ، اياك! اي شيء الا هذه النكتة •

والنكتة هذه غير ظاهرة لنا في كلامه هذا • ولعلها ، كما يقول روجرز Rogers مترجم مسرحيته هذه ، نكتة جنسية بذيئة ، يعبر عنها اكسانثياس بالاشارة المصاحبة لهذه العبارة البريئة •

ان ادب الاغريق بدرجة من الصفاء في تعابيره والفاظه الخلقية يربوبها على كتاب العهد القديم ، وكأن ارسطوفانيس في مسرحياته هذه قد نقى هذا الادب من كل لفظة بذيئة فيه ، ووضعها فيما كتب من مسرحيات • وانك لتجد الان الكثير من هذه الالفاظ التي يتجافاها الحس والذوق في عصرنا ، من امثال الفاظ القذر والقاذورات ، والتعابير الجنسية ، التي يعبر عنها مرة بالصراحة ومرة بالايماء منثورة في مسرحياته •

نقول : لعل ناحية هامة من نواحي الهزل في مسرحياته انما كانت بسبب استعماله لهذه الالفاظ البذيئة ، التي رأينا ادب الاغريق يكاد يخلو منها ، ولعل هذه الناحية بالذات ، هي التي تضعف روح الفكاهة

في مسرحياته عندنا ، لاننا يصعب علينا ترجمتها بطريق الايحاء اولا ، ثم اننا لا نستسيغها بذوقنا الحالي ثانيا .

يضاف الى هذا ، أن الكثير من نكاته تكون ممتعة بمقاطعها الصوتية الموسيقية التي تقتضيها بحور الشعر التي نظم بها مسرحياته . ويظهر أن الاوائل اهل جيله ، كانوا يعتمدون على النغم الشعري يتعون به الاذن ، لانهم كانوا يستعيضون بها عن العين التي تقرأ الالفاظ مكتوبة على الورق الان . والذين يقرأون المسرحيات الشعرية ، حتى الجدية منها ، يرون الفرق بين تأثيرها نظما او شعرا وبين تأثيرها محولة الى اسلوب نثري . ومن هنا رأينا المترجمين لمسرحيات ارسطوفانيس هذه يعمدون الى ترجمتها شعرا . وعندنا انهم بمحاولتهم هذه يزيدون في الامر صعوبة وتعقيدا .

ونعود الان بعد حديثنا الطويل هذا عن مسرحية الضفادع وعن ترجمة مسرحيات ارسطوفانيس ، الى تلخيص[٣٧] القسم الادبي من المسرحية .

ومسرحية الضفادع هذه مثلت عام ٤٠٥ قبل الميلاد ، وبها فاز ارسطوفانيس بجائزة المسرح الاولى .

وفي بداية المسرحية : ان ديونيزوس Dionysus اله المسرح احس بأن المسرحية هبط مستواها في اثينا ، رغم وجود الشعراء الكثيرين بعد موت الشاعر المسرحي يوريبدس ، فرأى ان يذهب الى Hades عالم الموتى ليعيده الى الحياة .

ورأى ان يصحب معه الى العالم الآخر ، عبده اكسانثياس Xahnthias ليعينه في رحلته العسيرة هذه . وعالم الموتى هذا ، لم يكن لاحد أن سلك سبيله وعاد منه ، غير هرقل Heracles ومن هنا رأى ديونيزوس أن يتشبه به في لباسه وهيأته ، فلبس حلة بلون الزعفران ، ولبس عليها جلد اسد واخذ عصا غليظة ، شأن المسافرين ، وسار يصحبه خادمه الى منزل هرقل ليسترشد به في الطريق

الذي سيسكله • ودله هرقل على الطريق وأرشده • وسار هو وخادمه برحلة طويلة تتخللها العقبات حتى بلغا عالم الموتى • وطرقا باب الههـا بلوتـو Pluto • واستقبلهما عبده اياكوس Aeacus ورحب بهما في دار سيده •

وخرج العبدان : اياكوس واكسانثياس مـن البيت ، يتبادلان الحديث الودي • واحسا بجلبة يثيرها نـزاع او شجار • وتبـين ان المتنازعين هما الشاعران : اسخيلوس ويوريبدس ، وانهما يتنازعان على العرش الادبي في دولة بلوتو ، دولة الموتى •• وللفصل بينهما لابد من اجراء محاكمة يستمع فيها الى ما يدّعيه كل منهما لنفسه ، ويدعيـه على صاحبه • ويتقاضيان •• ويكون ديونيزوس هو الحكم او القاضي، بينهمـا •

وفي هذه المحاكمة تعرض الاراء في النقد والادب ، يعرضهـا الشاعران ، ويتدخل ديونيزوس ، وتتدخل الجوقة في مناصرة هذا مرة وفي خذلان ذاك اخرى •• ويقدم لنا ارسطوفانيس بمسرحيته هذه ، شتى الاراء في نقد الادب والمسرح •

هذه هي المسرحية في جملتها او فكرتها • ونرى ان نلخصها[٢٨] على نحو ما عرضها ارسطوفانيس نفسه لنرى شيئا من اسلوبه فيها :

اياكوس (لاكسانثياس) رجـل عظيم سيدك ، انا احلـف بالاله زيوس : انه لعظيم !

اكسانثياس عظيم تقول ؟ ولا تراه يشغل باله بغير الخمـر والنساء ؟

اياكوس نعم ، لقد رآك في ثيابه ، ومع هذا لم يضربك حتـى ولا بالسـوط •

اكسانثياس كان الاولى له الا يفعل هذا • لك الحمد يا ابولّو ! وتبارك هذا الرباط الذي الفت به بين قلوب خدام هذه القاعة • ضـع يدك في يدي ، ودعنا نتصافح ونتعانق بالقُبَل (يتعانقان ، ويقبّـل

احدهما الآخر ، وتسمع جلبة داخل البيت) ما هذا ؟ ما هذا الصياح ؟ مشاجرة هذه ؟

اياكوس انه اسخيلوس ويوريبيدس ، وقد عادا الى ديدنهما في عالم الموتى ، وعدنا وكأننا في حرب اهلية .

اكسانثياس وفيم هذا ؟

اياكوس من قواعدنا هنا ، أن يمنح المتفوق في كل فن من الفنون ، أعني في الشعر وما اشبهه ، الحق في ان يتناول طعامه وشرابه في القاعة الوسطى ، ويكون كرسيه بجنب بلوتو ، رب الموتى . ويظل على هذا الى ان يأتينا من هو اعظم منه في فنه . وعندئذ عليه ان يخلى مكانه له .

اكسانثياس وما الذي يزعج اسخيلوس في هذا ؟

اياكوس كان من الطبيعي أن يكون على عرش التراجيديا ، لأنه سيد كتابها .

اكسانثياس ومن يجلس غيره ؟

اياكوس كان كذلك ، حتى جاء يوريبيدس الى عالمنا ، عالم الموتى ، فطلع بمسرحياته يعرضها مجانا لحثالة من اللصوص والنشالين ، وقطاع الطرق ، وعصابات السطو على البيوت ، وعلى الابناء قاتلي آبائهم وأمهاتهم . وما اكثر هؤلاء في عالمنا هذا ! واستمعوا اليه بمحاوراته البارعة ، وردوده السريعة الحاسمة ، ومبارياته الكلامية القاهرة ، وتورياته الذكية اللطيفة و ... فجنوا به اعجابا ورأوا فيه اعظم الكتّاب . واخذته النشوة بهذا ، فوضع يده على العرش ، حيث يجلس اسخيلوس ، يحاول ان يزحزحه عنه .

اكسانثياس ألم يرم به احد الى الارض ؟

اياكوس لا ، ليس هو الذي يفعل به هذا . وانما صاحوا يطلبون المباراة بينهما هنا ليروا أي الشاعرين هو املك لناصية الفن من صاحبه .

اكسانثياس تعني جموع المجرمين كلها ؟

اياكوس نعم ، وقد بلغ عنان السماء صياحهم بهذا .

اكسانثياس واين هؤلاء المناصرون لاسخيلوس ؟

اياكوس ان اهل الفضل قلة في كل مكان ، وهم كذلك ها هنا.

اكسانثياس وماذا يرى بلوتو في هذا ؟ وماذا في نيته ان يفعل ؟

اياكوس رأى ان يقيم مناظرة بينهما هنا ، ليرى ايهما امهر في صنعة الشعر .

اكسانثياس ولكن .. قل لي : لِمَ لم يدّع سوفوكليس هذا ايضا ؟

اياكوس لا . سوفوكليس لم يفعل هذا . وانما الذي فعله هو انه احتضن اسخيلوس ساعة مقدمه الى هنا ، وقبّله وصافحه ، وقاده الى العرش ، وأعطاه نصف مكانه ، من غير ان يقول كلمة واحدة في هذا . ويقول كليديميد Cli demides : انه سينتظر .. فان فاز اسخيلوس فذاك ما يريده ، وان خسر فسيكون ، حرصا على الفن ، حاضرا لمنازلة يوريبيدس .

اكسانثياس واذا ، فالمناظرة ، لا محالة ستكون .

اياكوس نعم ، وقريبا جدا . وسترى العجب العجاب فيها ، ستراهم يزنون الشعر بيتا بيتا .. ويزنونه بالرطل و ...

اكسانثياس ماذا تقول ، اتراهم يزنونه كما يزنون اللحم عند القصاب ؟

اياكوس نعم ، وسيحضرون المساطر والامتار لقياسه ايضا .

اكسانثياس أيعاملونه معاملة الحجر ؟

اياكوس نعم ، والزوايا .. وقد حلف يوريبيدس أن يفعل هذا بالمسرحيات كلها ، بيتا بيتا وكلمة كلمة .

اكسانثياس ارى اسخيلوس سيغيظه هذا .

اياكوس نعم ، انا رأيته يقطب ما بين حاجبيه ، ويتحفز ، ويحملق كالثور الهائج .

اكسانثياس ومن سيكون الحكم في هذا ؟

اياكوس كانت هذه هي الصعوبة . كل منهما لم يجد النقاد الاكفاء . فأسخيلوس اعترض على الأثينيين كلهم .

اكسانيثاس ربما ظن ان رعاع السجون بينهم لا حصر لهم .

اياكوس وكل الناس ، عنده مثلهم . اسخيلوس يعتقد ان الناس كلهم حثالة بالقياس الى الشعراء .. واخيرا قر الرأى على ان يكون سيدك ديونيزوس هو الحكم بينهما ، لما له من خبرة واسعة في فن الشعر والمسرح .

وتقام المناظرة

(يفتح الباب مرة اخرى ، ويدخل منه يوريبيدس وديونيزوس ، واسخيلوس)

يوريبيدس كفّ عن نصيحتي بالتراجع . لن اتراجع في قضيتي هذه . انا أرسخ بالفن منه .

ديونيزوس سمعت دعواه يا سخيلوس . لم لا تردّ عليه ؟

يوريبيدس انه اكثر تكبرا من أن يتكلم . هو يريد أن يفتتح رده بصمت رهيب ، كالذي يفعله في المشاهد الاولى من مسرحياته المخيفة التي يبهر بها مشاهديه .

ديونيزوس والان ، يا سيدي العزيز ، تلطّف وزن الفاظك .

يوريبيدس انا اعرف الرجل . اعرفه من سنين .. وقد خبرته مرة بعد مرة . أعرفه شاعر النبلاء المتوحشين .

يفتح فمه الواسع البليد .. يفتحه ولا باب ولا قفل له ولاضابط للسانه ، فتسيل منه الالفاظ الصخابة الجوفاء .. منحدرة في كومة وراء كومة .

اسخيلوس (ينفجر) اليّ تقول هذا ؟ يا ابن ربة الخضرة

(في ناحية بصوت واطىء) امه كانت تبيع الخضر (بصـــوت عال) أتتجاسر ان تقول لي مثل هذا ، يا لمام الالفاظ والعبارات ، يا شاعـر الشحاذين العميان ، وحثالة الخرق المسروقة • لسوف تندم على قولك هـــذا •

ديونيزوس كفى ، كفى يا اسخيلوس ، لا تعد الى قلبك نـار الحقـد القديم •

اسخيلوس لا •• لأعرِيَنّ هذا الشاعر المسرحي الكسـيح ، ولارينّه ما يستحق جزاء وقاحته •

ديونيزوس (للمتفرجين) •• خروفاً اسود ، هاتوا خروفـــا اسود ايها الغلمان ! اسرعوا به ليكون ضحية لطيفون Typhon رب الاعاصير ، فان اعصارا عاتيا يهددنا بالانفجار •

اسخيلوس يا مقتبس الاغاني الكريتية في الحب المحرم ، أيها الخسيس ! يا عارض قصص الزنا بالاقارب على المسرح • يا من هبطت بفننا الى الدرك الاسـفل •

ديونيزوس تمهل ، تمهل يا اسخيلوس النبيل ، وانت ايهـــا التعس ، يوربيدس ، كن حكيما وابتعد عن طريق العاصفة •• اسـرع والا اصابتك لفظة ضخمة بصلابة الصخر ، وبحجم رأسك فحطمـت يا فوخك ، واطارت كل ما برأسك من شعر تيلفوس Telephus والان ، هـدىء روعـك يا اسخيلوس ودعنا نأخـذ ونعطي فـــي المناظرة • ناظره ودعه يناظرك بهدوء وصبر • وليس لشاعرين مثلكمـا ان يتناظرا بلغة بائعات السمك • لقد اتقد غضبك ، ورحت تزمجـــر كأنك النار اشتملت في هشيم غابة •

يوربيدس اما انا فمستعد لمواجهته انى شاء وكيف شـاء •

وسيان عندي ان يعضّني هو اولا ، أو ان اعضه انا اولا • وانـا اخيّره في هذا • ها هو : حواري وموسيقاى ، وبنائي المسرحي • وها

هم أبطال مسرحياتي : بيلوس Peleus وملياجر Meleager والـــوس Aeolus نعم وتيلفوس Telephus ايضا .

ديونزوس آراض انت بالمناظرة يا اسخيلوس ؟.. تكلم .

اسخيلوس لم تكن رغبتي في ان تكون المناظرة في هذا المكان ، لان ظروفنا غير متكافئة فيه .

ديونيزوس ولم ؟

اسخيلوس نحن هنا في مملكة الموتى ، واشعاري لم تمت معي كما ماتت اشعاره معه ، فهي كلها هنا في متناول يده . ومع هـــذا ، فلك ما تريد اذا شئت ...

ديونيزوس ليحضر لي بعضكم بخورا ونارا ، لاني اريـد ان ابتهل بأن ألهم الصواب والعدل ، فاحكم بما يرضي ربات الشـعر . والان ، هيا .. وخذوا في الابتهال اليهن انتم .

والان ، الابتهلان ، قبل ان يعرض كل منكما أشعاره ؟

اسخيلوس أي ديميتر Demeter يا ملهمتي في ارائي وفني ! امنحيني الجدارة في ان اكون اهلا لتقديسك .

ديونيزوس (ليوربيدس) وانت الا تضع شيئا من البخور ؟

يوربيدس لا . وشكرا لك . فآلهتي التي اعبدها هي من معدن آخـــر .

ديونيزوس ابتهل اذا بطريقتها الخاصة .

يوربيدس أيها الاثير ، يا معدن حياتي ، يالساني المتمـــوج بصوته ، يا اوتار كل نشيد ، يا عقلي ومنطقي . ايها الانف الذي انشق به العبير ، واتجافى به عن النتن ، هب لي ما اميز به الحسن وغير الحسن في كل لفظة اسمعها .

ديونيزوس والان ، هيا للمناظرة . وتجاوزا ما هو غير جديـر بالقول فيهـا .

يوربيدس سأؤخر الحديث عن فني المسرحي ، وآخذ بنقض ادعاءات هذا الرجل اولا • سأريكم كيف خدع بفنه السوقة ، وكيف ضلل الجمهور الساذج وخدعه باستدارجه بأساليب فرينيكوس Phrynichus في مسرحياته • سأريكم كيف خدعهم باظهار شخصيات غامضة محجبة على المسرح ، مثل : اخيل Achilles ونيوبا Niobe ، تلك الشخصيات التي لا تكشف عن وجوهها ولا تبين ما في نفوسها ، ولكنها تقف صامتة كالتماثيل او التصاوير ، فيبهر الناس بهذا الصمت •

ديونيزوس ومع هذا ، فأنا احب هذا الصمت ، وانه ليبدو لي ابلغ من أي كلام يقال في مسرحيات هذه الايام •

يوربيدس ذلك لانك لم تتكشف لك حيلته فيه •

ديونيزوس نعم ، اراك على صواب في هذا • ولكن ما الذي يدفعه اليه ؟

يوربيدس تلك هي شيمة المخادع الدجال ، ليجعل المتفرجين يظلون في حيرة يتساءلون : أترى نيوبا لا تريد ان تتكلم ؟ ويظلون في حيرتهم هذه ، وأحداث المسرحية تتوالى حتى يسدل الستار •

ديونيزوس نعم ، هذا الذي كان ، يا للثعلب الماكر ! كيف خدعنا وظللنا (ثم الى اسخيلوس) لا تنحفز ، ولا تستشط غضبا •

يوربيدس اننا نستشيط غضبا حين نؤخذ بالبينات • وبعد هذه الخديعة •• ترى البطلة في منتصف المسرحية يعود اليها هدؤها فترسل الالفاظ متتابعة ، رنانة ، طويلة ، اثنتى عشرة لفظة في مثل خوار الثور الهائج • كل كلمة كالحجر المتدلى ، لو سقط على أحد لفلق رأسه • كلمات كالغيلان المخيفة ، لم يسمع مثلها في الدنيا •

اسخيلوس ايها السافل

ديونيزوس النظام ، النظام ••

يوربيدس وشعره ؟ كله ليس فيه بيت مفهوم • كله حفر

وخنادق ، وانهار مخيفة ، مثـل نهر سكامندر Scamander وسيوف تلمع ، وكلاب بأجنحة لها شكل النسور ، واحجار ، وفرسان في سلاحها • ومع ذلك لا تصل الى شيء فيه •

يونيزوس احلف بزيوس ! ان هذا الذي قلته هو ما احسه انا • على ان هناك سؤالا يراودني ، ويحوم حولي طول الليل كأنه الشبح ، وهو : انوع من السمك ام من الدجاج ذلك « الديك الاصفر ؟ »

اسخيلوس (مقاطعا) هذه اسم شارة منقوشة على السفن

ديونيزوس حقا • لقد حسبتك تعني بها الموسيقى ايركسس Eryxis

يوريبيدس انت تحب اذا ان تدخل ديكا في المسرحية ؟ اتظن هذا ينسجم في جوها ؟

اسخيلوس وماذا الفت انت ايها الاحمق ذو الكبرياء المزيف ؟

يوريبيدس الحمد لله ، لا ديوك ، ولا وعول ، على نحو ما فعلت انت • تلك صور يزينون بها الستائر الفارسية • لقد تناولت المسرحية منك منتفخة مضطربة ، تنوء بالالفاظ الثقيلة حتى تجاوزت حد الفهم بثقلها • وتناولتها بيدي وعملت على علاج ما فيها من ورم وثقل• وعالجتها بالعبارات السهلة البسيطة ، وبالحركة الخفيفة ، وبشيء من عصارة الفكر الهادىء التي في الكتب • ثم غذيتها بالتمثيل المنفرد •• وانا لم اخبط خبط عشواء،ولم اعمد الى التعمية • وجعلت اول شخصية من شخصياتي تظهر على المسرح توضح اصل المسرحية ونوعها •

ديونيزوس وكنت بحكمة تخفي اصلك انت •

يوريبيدس ولا ترى ، من البداية ، خاملا في مسرحياتي ، بل عليهم ان يعملوا ويتحركوا ، الرجال والعبيد والنساء كلهم يتكلمون ويتحدثون • وكذلك شأن الملوك والفتيان الصغار والعجائز •

اسخيلوس والآن ، انظر ما يعلّمه ! الا تراه يستحق الشنق جزاءً عليه ؟

يوريبيدس لا ، والاله ابولّو Appollo ! هذه هي

الديمقراطية . وقد علمت المدينة كلها ان تتحدث بحرية .

اسخيلوس انا اعترف لك بهذا . وليتك مت قبل ان تعلمهم هذا بين لعناتهم .

يوريبيدس ولقد اعطيتهم قواعد ومقاييس يقيسون بها الشعر ويحكمون عليه . وعلمتهم ان يروا وان يفكروا ويفهموا وان يضعوا الخطط لما يريدون عمله . وعلمتهم ان يعشقوا وان يظنوا السوء بكل شيء وان يختبروا كل شيء .

اسخيلوس اوافقك على هذا . اوافقك .

يوريبيدس ووضعت على المسرح الاحداث التي تقع في الحياة اليومية . اشياء لو اخطأت فيها لتبين للناس خطأي . اشياء يعرفونها .. فيحكمون على فني فيها . ولم ارهبهم بالبرق والرعد، واذهب بعقولهم . ولم احاول ان اجعلهم في حيرة من امرهم بالحديث عن البجع السحري، وعن فرسان اثيوبيا ، وعن صهيل الخيل الوحشية وصليل الخوذ النحاسية . ثم انظروا .. بعد هذا كله ، الى تلاميذي وتلاميذه ، وقارنوا بينهم . مَن تلاميذه ..!؟

اسخيلوس انا غاضب لهذا . واراني محقاً ان اكون كذلك . وما كان لي ان اجيب رجلا مثله ... ولكيلا يظن انه غلبني ، اريد اجابته على سؤالي هذا : على اي اساس ينتظر الشاعر الاعجاب به ؟

يوريبيدس اذا كان فنه اصيلا صادقا . وقد أعان الناس بأن جعلهم افضل مماهم عليه .

اسخيلوس واذا افترضت انك انت على الضد من هذا ، وكان لفنك من التأثير ما يحيل القوى الحسن الى ضعيف سيء . فما ينبغي ان يكون جزاؤك ؟

ديونيزوس المشنقة ، ولا حاجة لجوابه

اسخيلوس واذا انظر كيف استلمهم مني : عمالقة ، طول الواحد متران . اقوياء البنية ، نسب عظيم وتربية عظيمة . لا يتقاعسون

عن استجابة الداعي للدفاع عن الوطن • وليسوا خاملين ولا محتالين • حياتهم كلها في السيوف والرماح والدروع •

يوريبدس (على حدة) ابتدأ الان •• ولعله سيستمر حتى يضع كل ما في مخزن السلاح على رأسي (ثم اسخيلوس) كيف ربيتهم انت بهذا ، اذا كانوا على هذا النحو من التربية العجيبة ؟

اسخيلوس ربيتهم بمآس تطفح بصور اريس Ares اله الحرب • وبمأساة « السبعة ضد طيبة » تلك التي لم يشهدها احد الا خرج متعطشا للدماء والدمار • وعلمتهم الثبات وحب المجد • علمتهم في « رواية الفرس Paersae » وفيها خلدت اشرف بطولات الماضي بأجمل الاغاني • وهكذا يجب ان يكون تأثير المسرحيّة في نفوس مشاهديها • لاحظوا : ان الشعراء العظام ، من اقدم العصور علموا الناس ما افادوهم به فوائد علمية • فأرفيوس orpheus علمنا ان نكف عن القتل المحرم ، وعلمنا طقوس الدين • وموسايوس Musaeus علمنا بالحكمة ان نشفي الامراض • وهزيود Hesiod علمنا الفصول المناسبة للحرث والبذر والحصاد • والغار الذي يتلألأ على رأس هوميروس Homer انما جاءه من تعاليمه الاخلاقية • انه علم الناس ان يهبوا ويزحفوا زحف الجنود وان يلبسوا السلاح • هوميروس ربىّ كثيرا من الشجعان •• وانا جعلت ابناء وطني يتمنون ان يكونوا مثلهم • يهبون في وجه العدو ويقفزون من مقاعدهم كلما دعا داعي الحرب •

انا لم اكتب عن اسثينبويا Stheneboea ولا عن فيدرا Pheadra البطلة العاهرة ، ولو صورت عاشقة واحدة في مسرحية من مسرحياتي لجاز لكم رفض كلما علمتكم اياه •

يوريبدس واىّ رذائل الناس ترى اسثينبويا المسكينة قد زادت فيها !؟

اسخيلوس انها تجعل النساء الصالحات ، زوجات الرجال الصالحين يسرعن الى تجرع السم ينحرن به طلبا للراحة ، كلما طلبت

قلوبهن الراحة لفرط ما بها من الغم .

يوريبيدس على اني لم اخترع قصتها اختراعا ، بل رويتها . وقل لي : ألم تذكر في التاريخ ؟

اسخيلوس نعم ، هي رواية صحيحة ، ما في ذلك شك ولكن على الشاعر ان يحيط مثل هذه الحقائق بغلاف من الاسرار ، لا ان يذيعها ، ويجعل منها مسرحية كما فعلت انت . ان من واجبه ان يعلّم ، وانت تعرف هذا . وكما يتعلم الاطفال من كل اولئك الذين يحيطون بهم ، كذلك يتعلم الكبار من الشاعر . ويجب الا يعبر بألفاظه الا عن الرأي السديد .

يوريبيدس وانت ترى الرأي السديد في الفاظ تختارها لنا كجبل ليكابيتوس او جبل بارناس ثقلاً ووعورة ؟ خلّنا على الاقل نعبر بلغة الناس .

اسخيلوس جدل سقيم وسفسطة سقيمة ! اذا كانت الموضوعات كبيرة وجب ان تكون الالفاظ في ادائها كبيرة ايضا . واذا تكلم الابطال العظام ، أغريب ان يعلو كلامهم محلقا فوق رؤوسنا ؟! واكثر من هذا فملبسهم يجب ان يكون فخما جليلا يبهر العين ، وان يكون فوق مستوى ملبسنا . كل هذا انا اكتشفته ، وارسيته قانونا للفن ، حتى جئت انت وافسدته .

يوريبيدس وكيف كان ذلك ؟

اسخيلوس لقد اظهرتهم انت في خرق الشحاذين واسمالهم لتعبّر عن احزانهم البطولية ، وتستدر دموع المشاهدين بالعطف عليهم .

يوريبيدس وما الضرر في هذا ؟

اسخيلوس (لا يلتفت اليه) ثم انك درّبت كل طفل يحبو على الخطابة ، فأفسدت بهذا مدارس المصارعة والتربية البدنية ، وجعلت اطفالنا المساكين يصابون بالهزال والشحوب .

يوريبيدس (يختار ابياتا لاسخيلوس يراه فيها يكرر الفاظه

ومعانيه ، ويبين نفسه انه يكتب افتتاحيات مسرحياته بغير تكرار)

اسخيلوس (يورد ابياتا من مسرحياته)

يوريبيدس (يورد ابياتا من مسرحياته)

ديونيزوس (يضع ما لهذا وهذا في الميزان ، ولا يحكم لاحدهما مخافة ان يكتسب عداوة الآخر) هذا صديقي ، وهذا صديقي • يوريبيدس جميل واسخيلوس مقنع • (ويتردد فيمن يختار) سأختار من يحبه قلبي (ثم يتردد ايضا) ويختار اسخيلوس •

وبعد ان فرغنا من تلخيص هذا القسم الادبي من مسرحية الضفادع ، نبين ان الفكرة الكبيرة التي تسيطر على نقد ارسطوفانيس فيها ، هي فكرة « وظيفة الشعر » وهي الفكرة التي جعلها افلاطون من بعد ، اساسا في احاديثه عن الشعر حين عرض له في جمهوريته ، وفي احاديثه الاخرى عنه • وقد رأى افلاطون ان الشعر في وظيفته مفسد الى ابعد حدود الفساد • وعرض لهذا ارسطو في كتابه الشهير عن الشعر ، وذهب فيه مذهبا مخالفا لمذهب استاذه افلاطون • فبين ان الشعر في وظيفته نافع الى ابعد حدود المنفعة •

نقول : هذه هي الفكرة التي تسيطر على الموضوع الذي تناوله ارسطوفانيس في مسرحيته هذه ، ثم تتفرع عنها امور اخرى جانبية ، ذات صلة قريبة او بعيدة عنها •

ونلحظ ان ارسطوفانيس حين يقيم المناظرة بين الشاعرين ، ويبين وجهة النظر لكل منهما ، يعرض حجة كل منهما بأبهى واروع ما تعرض به الحجة ، حتى ليتوهم القارىء أنه في كل مرة يكون مؤيدا للرأي الذي يعرضه • ويظل كذلك حتى يراه يذهب مع النقيض الى مثل ما ذهب به مع السابق • على ان القارىء في آخر المطاف في هذه المسرحية يراه أميل الى ربط الشعر بالناحية الاخلاقية وبالفائدة والتعليم •

ونحن لا نستبعد هذا عنه ، وقد رأيناه يكتب مسرحياته يؤيد بها وجهة نظر خاصة ، ولا يكتبها للمتعة والاضحاك فقط • فمسرحياته كما مرت الاشارة اليها ، هي معالجة لامور تتعلق بالمجتمع ، كأمور الحرب وموقفه منها ، واشادته بالسلم ، ورأيه في شيوعية الثروة ، وفي اشراك النساء بالحكم مع الرجال ، وفي دخولهن البرلمان و ••• ومن هنا رأيناه اميل الى الرأي الذي عرضه على لسان اسخيلوس ، وهو ان واجب الشاعر ان يعلّم وان الكبار يتعلمون منه كما يتعلم الصغار من معلميهم في المدرسة • وان الشعراء العظام كانوا ، من اقدم العصور ، معلمين • هذا شاعر يكون له مكان المربي المصلح الذي ينهي الناس عن الاجرام ، وهذا شاعر يأخذ مكان الطبيب فيعلم الناس كيف تعالج الامراض ، وهذا شاعر يكون مرشدا لاهل الفلاحة والرزاعة ، يعلمهم الفصول المناسبة للبذر والزرع والحصاد • وهكذا يكون شأن الشعراء العظام • ويرى ان اهمية هوميروس انما جاءته من تعاليمه الاخلاقية ومن العمل على تربية الناس على الشجاعة والاقدام وحب الحرب •

وبعد ان أشبع بالحديث هذه الناحية التعليمية او التربوية في الشعر والشعراء ، نقد بألذع النقد الشاعر يوربيدس الذي عمل في اشعاره ومسرحياته على النقيض من هذا ، اذ عرض ابطاله من الرجال بأسمال الشحاذين ، وعرض النسوة بصور اولئك اللواتي يجرين وراء اللذة المحرمة ، فيعشقن من لا يبيح الخلق والعرف عشقه من الرجال ، يعشقن ابناء ازواجهن او اصدقاء ازواجهن وقد يعرضهن بأثواب الساقطات •

ويفرّع على هذه الناحية الخلقية او التعليمية ، ناحية فنية هامة تتعلق بالجماهير المشاهدة للمسرحيات واذواقها وحكمها على ما تشهده وتستمع اليه • ذلك بأن يشير اشارات نراها كالقواعد فيما بعد عند ارسطو[٢٨] ، وقد بيّن ان الشعراء يلائمون بين اعمالهم المسرحية وأذواق الجماهير التي تعرض عليها هذه المسرحيات • ويقول ارسطوفانيس ، وكأنه يمتدح الناحية الفنية في يوربيدس وان كانت لا ترضيه الناحية

الخلقية فيه ، انه عمل على الملاءمة بين مسرحياته وبين أذواق الجماهير المشاهدة لها ، وانه حين عرض مسرحياته في عالم الموتى ، عرضها على اللصوص ، واهل السطو على البيوت ، وعلى قاتلي ابائهم او اقاربهم، عرضها على هؤلاء فجنوا بها جنونا . هذه هي مشاهده ، وهذا هو جمهوره الذي اعجب بها ، ورأى فيه ابرع الشعراء . اما اسخيلوس،فقد اتجه بمسرحياته وجهة اخلاقية وطنية ، فلم يكتب عن الزانيات ولا عن العاشقات ، ولكنه عرض على مواطنيه مآسيه التي تفيض بصور الحرب وتثير الاعجاب بصور الابطال المحاربين ، ويرى مسرحيته : « السبعة ضد طيبة » لم يشهدها مشاهد الا خرج متعطشا للقتال . وعرض لهم مسرحية « الفرس » فعلمهم بها حب المجد ، وعلمهم الثبات على القتال في احرج المواقف . وما ذاك الا لان صور ابطاله قد حبّبت الى نفوس المشاهدين فتمنى كل منهم ان يكون على شاكلة واحد منها .

وارسطوفانيس لا يترك رأيه هذا واضحا من ناحية واحدة ولكنه يشبعه حديثا ، فيرد بما عسى ان يخامر القارىء من اراء مضادة له . يرد على لسان يوريبيدس كالمعتذر لنفسه ، بأن هذه المشاهد ، مشاهد الساقطات او العاشقات للذة المحرمة لم يبتدعها خياله ابتداعا ، وانما هي حقائق معروفة روتها الاساطير . ويرد ارسطوفانيس على لسان اسخيلوس بما يفند به هذا الرأي ، وهو : ان هذه الحقائق وان كانت واقعة ، معروفة ، فليس للشاعر ان يعمل على اظهارها واذاعتها ، بل على الشاعر ان يخفي الاثم ولا يعمل على اذاعته .

ويبين ارسطوفانيس بمسرحيته هذه وسيلة ايصال الاراء الى المشاهدين ، وهذا مما يتعلق بالصنعة الفنية وتأثيرها . رأى على لسان يوريبيدس : ان مسرحيات اسخيلوس يقف لها الشعر ويجمد لها الدم في العروق . وعندنا ان هذا امتداح لفن اسخيلوس وتأثيره في النظارة ، وان اورده مورد الذم على لسان يوريبيدس .

وتحدث عن لغة اسخيلوس فنقدها على لسان يوريبيدس بأن شعره

غامض كله ، ليس فيه بيت مفهوم .. هو حفر وخنادق . وهذه وجهة نظر يوريبيدس وغيره من الذين يحبون اللغة السهلة الواضحة التعبير . ونقد اسخيلوس بغموضه في مشاهده التي يعرضها ويبهر الناس فيها بالصمت . ونرى ارسطوفانيس ينتصر لهذا الضرب من الصمت ويحبذه، ويرى ان الصمت احيانا يكون له تأثير في التعبير يعجز عنه الكلام .

وينقد لغة اسخيلوس ، على لسان يوريبيدس ، بأنها الفاظ رنانة ، مخيفة بجرسها ووقعها ، كأنها الجبال في ثقلها ، وكأنها خوار الثيران او اصوات الغيلان المخيفة . وانها ليست كلغة يوريبيدس التي جاءت بألفاظ الناس التي يتداولونها في حياتهم المألوفة ، واضحة العبارات ، لا غموض فيها ولا أبهام .

ومع اننا كنا نتصور ارسطوفانيس ينتصر ليوريبيدس في نقده هذا ، ذلك لانه ينسجم مع طبيعة ارسطوفانيس ، ويتمشى مع فنه المسرحي الهزلي .. ومع اسلوبه البذيء ، الذي يعرض به لنقد خصومه بقسوة وعنف ، ويحاول به إضحاك الجماهير منهم ، ذلك الاسلوب الذي يصوغه باللغة الدارجة ، تلك اللغة التي لا تعني بالصياغة الفنية ، ولا تميل الى الزخرفة والبهرجة ، واستعمال العبارات الطنانة . ولكنها تتخذ الجمل البسيطة السهلة المؤثرة ، وتهبط الى الفاظ العامة ذات النكات الصريحة البذيئة المفضوحة . وقد يعمد بعض شعرائها ، شعراء الهزل الى استعمال لغة المتقعرين فيتحدث بلهجة الفيلسوف او الشاعر التراجيدي ، ولكنه حين يعمد الى هذا انما يعمد اليه للنقد وللتهكم من اللغة ومن صاحبها .

نقول : مع هذا نراه يعتذر لهذا الاسلوب ، وكأنه يعتذر ليوريبيدس ولنفسه ايضا ، بأن يرى ان الاساليب واللغة المسرحية يجب ان تكون مناسبة لموضوعاتها التي تتحدث عنها فيبيّن على لسان اسخيلوس : بأن الموضوعات اذا كبرت وكبرت معها العواطف وجب ان تكبر وان تناسبها الالفاظ ، وان كلام العظام يجب ان يكون عظيما ..

بل ولباسهم ايضا ، وكأنه يعرّض بيوريبيدس الذي اظهر شخصيات ابطاله بلباس الشحاذين ليستدر العطف لهم بهذا .

وينقد اسخيلوس بأن يراه يكرر في الفاظه ومعانيه ، ويورد امثلة على هذا ، وكأنه يعيب التكرار في الكلام ، ولكنه يريد ان ينزه اسخيلوس عنه ، فيورد ردود اسخيلوس التي يبين بها ان هذه الامثلة التي عيبت عليه ، لا تكرار فيها ، وعيبها أنها اسيء فهمها .

ويمتدح يوريبيدس بأن مسرحياته واضحة مفهومة ، وانها من الوضوح بحيث تنبيء افتتاحياتها عما سيكون في خواتيمها .

وهكذا نرى من نقده لكلا الشاعرين انه عرض مزاياهما الفنية ، بروح بعيدة عن التعصب لاحدهما على الاخر ، حتى ليخرج القارىء من نقده وهو لا يكاد يتبيّن تحزبه او انحيازه لاحدهما ، مع انهما يمثلان ـ كما عرضهما في المسرحية ، مذهبين متعارضين في وجهات النظر الادبية عامة ، من حيث النظر لوظيفة المسرحية ، ومن حيث طريقة معالجتهما لما يعرضان من اراء فيها .

ونراه حين يصدر احكامه ، وهي احكام جزئية ، انما يصدرها مشفوعة بأدلتها . وربما كانت هذه اميز من احكام الكثيرين من النقاد الذين جاءوا بعده بعصور . ولقد كان في كل هذا موفقا في ابراز النواحي الفنية للشاعرين اللذين نقدهما ، كما كان موفقا في اقتباس ما اقتبسه من مسرحيات لاصدار هذه الاحكام .

ونراه لا يحاول اصدار احكام عامة على منقوديه ، فهو يورد الرأي ، ثم يورد الرد عليه . ويكاد يقنع قارئه بأهمية الرأي حين يورده واهمية الرد عليه ايضا ، حتى ليترك قارئه في مفترق الطريق ، وهو لا يدري الى اي الرأيين ينحاز .

ومع ان ارسطوفانيس لج بيوريبيدس في نقده ، الا أننا مع هذا ، لا نراه يقسو عليه في هذا النقد . وحسبك منه ان يبتدىء مسرحيته هذه بأن يرى المسرحية قد هبطت بمستواها الفني بعد موت يوريبيدس ،

وأن ديونيزوس ، اله المسرح ، عمد الى ان يبعث يوريبدس من مرقده في عالم الاموات ليرد للمسرحية مكانتها .

ونختم حديثنا عن ارسطوفانيس بأن نقول : انه شاعر المسرح الخالد . لقد اعجب مواطنوه بفنه فنال جوائز المسرح منهم ، وكان هذا في القرن الرابع قبل الميلاد ، وما يزال شاعر الدنيا في عصرنا هذا . ورواياته يقرؤها الناس ويشهدونها ممثلة على المسارح ، ويسمعونها مذاعة في الاذاعات . وما زالت آراؤه في النقد اسس الاراء الى ايامنا هذه ايضا .

جامعة قسم اللغة العربية
كلية الآداب

الهوامش

(١) يفتتح الاوديسة Odyssey بدعاء لابنة زيوس Zeus يقول فيه : حدثيني ايتها الآلهة عن الرجل الكثير الحيل ، الذي اخذ يجول في مناكب الارض ، بعد ان دمر قلعة طروادة المقدسة .. تحدثي الينا ايتها الالهة ،يا ابنة زيوس :

ويفتتح الالياذة iliad ، بقوله الذي ترجمه البستاني شعرا :

ربة الشعر عن اخيل بن فلا انشدينا واروى احتداما وبيلا

ص : ١٢٣ ترجمة البستاني لالياذة هوميروس .

وانظر كتاب :-

Poetry and Criticism before Plato, by : Rosmary Harriot, P : 34-51

وفيه حديث تفصيلي عن هذا .

(٢) انظر الحديث التفصيلي عن هذا في الكتاب السابق نفسه ، ص ١٠ وما بعدها .

(٣) شاعر غنائي شهير ، ولد حوالي سنة ٥٢٠ ق . م ، وعاش نحو ثمانين سنة . ذكره هيرودوت ، واقتبس افلاطون عباراته . ومجده الاسكندر بأن حافظ على الدار التي ولد فيها ، بعد ان امر بتدمير طيبة مدينته .

انظر الحديث عنه في دائرة المعارف البريطانية ، ١٠٨٤/١٧ .

(٤) مناقشة هذه البذور النقدية الاولى ، في المجلد الأول من كتاب :
J. W. H. ATKINS : Literary Criticism in Antiquity

(٥) انظر مقدمة :
Complete Plays of Aristophanes by Moses Hadas. Bantam books, New York.

(٦) انظر الحديث عن هذا في سلسلة كتب :
Great Books of the Eastern world, Page : 45
وبها : ان تاريخ ولادته لم يكن معروفا بالضبط ، ولكن مسرحيته الاولى : Banqueters ربحت الجائزة الثانية عام ٤٢٧ ق . م .
وقد اشار هو في مسرحيته الغيوم The Clouds الى انه كان اذ ذاك اصغر من ان يستطيع اخراجها باسمه . وعلى هذا قالوا : انه دون الثامنة عشرة من العمر .

(٧) انظر : Encyclopedia Britannica 2/388

(٨) ترجم الاستاذ الدكتور لويس عوض ، بعض ادوار مسرحية الضفادع شعرا . انظر : ص : ١٧٦ ومابعدها من كتابه : « نصوص النقد الادبي (اليونان) » ط : دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ .

وانظر : ص ٩٧ وما بعدها من كتاب :-
Ancient Greek Literature in its Living Context, by : H. C. Baldry .

(٩) انظر الحديث عن اثر ارسطوفانيس في كتاب المسرحية الانكليز، امثال : فيلدنج Fielding وميدلتون Middleton وبن جونسون Ben Jonson وغيرهم ، في كتاب :
Hamilton : The Great age of Greek Literature.
وانظر :
The Oxford Companion Classical Literature :
وبه : ان مسرحية بلوتس Plutus ومسرحية السلام Peace قد مثلتا مترجمتين في كمبرج عام : ١٥٣٦ وعام : ١٥٤٦ .

(١٠) نال الجائزة الثالثة مرة واحدة ، والجائزة الثانية ثلاث مرات ، والجائزة الاولى اربع مرات .

(١١) انظر هذا في مقدمة كتاب :
Aristophanes, the Comic Hero, by : Cedvick H. whitman, Harvard University Press 1964

(١٢) انظر المسرحية في ص ٤٥٥ ـ ٤٧٠ من الكتاب الخامس ، من سلسله كتب : Great Books of the Eastern world

(١٣) نسبة الى مقاطعة « اكارن » الواقعة على سفح جبل بارنيس ـ انظر : صقر خفاجه : في المسرحية اليونانية .

(١٤) انظر : Encyclopedia Britannica, 2/389

(١٥) انظر :

AN introduction to Drama, By Jay B. HUBBELL AND JOHN O. BEATY. P: 29

وبه ان ارسطوفانيس كان صديقا لافلاطون .

(١٦) انظر كتاب :

The Great age of Greek Literature, by Edith Hamilton, w. w. Norton and Company, New York N. Y.

(١٧) انظر الضفادع

(١٨) انظر :

AN INTroduction to Drama, By HUBBELL and BEATY. New York P: 29

(١٩) ملخصة عن كتاب :

The Compltete Greek Drama, by: EUGENE O, NEiLL JR. volvme Two. Random House, New York

(٢٠) انظر : ENCYLOPEDIA Britannica, 2/389.

(٢١) انظر مقدمة :

T, S. Dorsch : Classical Literary Criticisme' Penguin Books

(٢٢) انظر : Encycloppedia Britannica, 2/390

(٢٣) انظر المسرحية فى كتاب :

Complete Greek Drama, P; 863 - 913

وانظرها في كتاب :

The complete Plays of Aristophanes, P: 330-366

بترجمة اخرى .

(٢٤) كليون : سياسي اثيني ، توفى سنة ٤٢٢ ق . م . وكان قد طلب محاكمة ارسطوفانيس متهما اياه بالتشهير بالدولة في مسرحيته البابليون ـ Babylonians لانه وصف اثينا بانها تذل حلفاءها . وكان كليون هذا خطيبا بارعا يؤثر في الجماهير فيميلها على النحو الذي يريد .

(٢٥) انظر مسرحيته الاكارنيين في كتاب :

Complete Greek
Drama, Volume Two, P: 424-474
Random House. New York.

(٢٦) مقدمته لكتاب

Aristole : on the art of Poetry, by: Ingram Bywater; Oxford 1951

من ص ١٠ ـ ١٩ وبها حديث مستفيض عن صعوبة الترجمة من اليونانية الى الانكليزية .

(٢٧) ترجم هذه المسرحية الاستاذ الدكتور لويس عوض . وقد رجعنا الى ترجمته في ملخصنا هذا ، واستعنا بالترجمات الانكليزية التي سبقت الاشارة اليها في هذا البحث .

وكنا نود لو انه لم يدخل في هذه الترجمة الالفاظ العامية المصرية التي قد تستعصى على قراء العربية في فهمها . ومن في العراق مثلا يقرأ : « حظه بمب ، وزهرة عال ، مش بس هابيك لكن دش » ويفهم منها شيئا !؟. انظر : ص ١٤٦ من « نصوص النقد الادبي (اليونان) ».

(٢٨) انظر : الفصل الثالث عشر من كتاب الشعر ، لأرسطو .

ومن مراجع البحث التي لم تذكر في حواشي الصفحات :

١ ـ المحاكاة ـ الدكتورة سهير القلماوي .
٢ ـ تاريخ الادب اليوناني ـ دكتور محمد صقر خفاجة .
٣ ـ النقد الادبي عند اليونان ـ الدكتور بدوي طبانه .
٤ ـ ـ السحب ـ ترجمة حلمي عبدالواحد خضره .

ومن المراجع الانكليزية:

1. History of Literary Criticism by G. saintsbury
2- Literay Criticism , Plato to-Dryden, by : GILBERT
3- Essays in Criticism, by Jordan
4- Enjoyment of Literature, by Boas and Smith
5- English Literary Criticism, by: J. W. H. ATKINS